

موضوعات إسلامية - موضوعات مختصرة - الدرس (١٣): الهجرة النبوية
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-١١-٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، بمناسبة عيد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو رأس السنة الهجرية سأشرح لكم هاتين الآيتين من سورة الأنفال، الآية الأولى قال تعالى:

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَكَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) ﴾

[سورة الأنفال]

والآية الثانية هي قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) ﴾

[سورة الأنفال]

الهجرة من لوازم الإيمان لها معنى ضيق ولها معنى واسع، معناها الضيق هو انتقال النبي وصحابته من مكة إلى المدينة و معناها الواسع أن يهجر الإنسان ما نهى الله عنه و قد ورد في الحديث القدسي: عبادة في الهرج كهجرة إليّ، يعني في زمن يُكذَّب فيه الصادق و يُصدَّق فيه الكاذب و يُخوَّن الأمين و يُؤتمن الخائن و يصبح



المعروف منكراً والمنكر معروف، بل يُؤمر بالمنكر ويُنهى عن المعروف، في مثل هذا الزمن عبادة الله في الهرج كهجرة إليّ كما ورد في الحديث القدسي.

الحقيقة ؛ الهجرة موقف عملي، والإيمان اعتقاد نظري، فالاعتقاد النظري ما لم يُدعم بموقف عملي فلا قيمة له :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾

[سورة الأنفال]



الهجرة بمعناها الواسع ترك ما نهى الله عنه

فأنت مكلف أن تهجر من المنكر إلى المعروف ومن المعصية إلى الطاعة ومن معاشرته أهل الفسق إلى معاشرته أهل الإيمان ومن المقاصف إلى المساجد ومن أهل الدنيا إلى أهل العلم، والانتقال من شيء يبعدك عن الله إلى شيء يقربك إلى الله، هذا المعنى الواسع، بل إن الهجرة فرض على كل مسلم عاش في بلد يشبه مكة يوم

الهجرة وهناك بلد يشبه المدينة يوم الهجرة، فالهجرة ماضية إلى يوم القيامة أما بعد فتح مكة انتهت الهجرة من مكة إلى المدينة لأن مكة أصبحت بلدا إسلامياً، وأخطر ما في الهجرة الهجرة من أجل الشيطان،

فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً إِلَى خَنْعَمٍ فَأَعْتَصَمَ نَاسٌ بِالسُّجُودِ فَأَسْرَعَ فِيهِمُ الْقَتْلَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ وَقَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِمَ قَالَ لَأُتْرَايَا نَارَاهُمَا))

[رواه الترمذي]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ

((الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ))

[رواه البخاري]

أما هاتان الآيتان " ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي



المرء مع من أحب

الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)

[سورة الأنفال]

والذين آووا المؤمنين ونصروا دين الله عز وجل "

﴿ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

[سورة الأنفال]

والآن دققوا "

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

[سورة الأنفال]

يتعاونون و يتكاتفون و يتآزرون و يخططون لردّ الحق و لإطفاء نور الله و لنهب ثروات المسلمين "

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

[سورة الأنفال]

ويقول الله عز وجل

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

[سورة الأنفال]



فهذا الضمير المفرد الغائب "الهاء" على من يعود ؟ أي إن لم تؤمنوا و إن لم تهاجروا و إن لم تجاهدوا بأموالكم و أنفسكم و إن لم تتعاونوا و إن لم تتصروا دين الله عندئذ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، قال علماء التفسير: هذه الهاء تعود على مضمون الآية السابقة، فنحن أمام خيار صعب ؛ إما أن نتعاون و نؤمن ونهاجر وننصر

و نؤيد و إما أن تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، لا يبقي و لا يذر، ونحن في زمن الفتنة قال عليه الصلاة والسلام :

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوْشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ عِنَّمِ يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ))

[رواه البخاري]

((فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ قَالُوا يَا

رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بِعَدِّكَ مِنْ أُمَّتِكَ قَالَ أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ بِهِمْ دُهُمٌ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى قَالَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ))

[رواه النسائي]

هذه الآية نحن أمام خيارين نكون أو لا نكون، نكون إذا آمنا وهاجرنا بالمعنى الواسع وجاهدنا بأموالنا و أنفسنا و آوينا ونصرنا ودعّمنا وأيدنا، و إن لم نتعاون ولم يكن بعضنا أولياء بعض تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، دققوا في هذا الضمير، يخططون ويسهرون ويتآمرون ويتعاونون ويتناصرون على إطفاء نور الله وعلى إزهاق الحق وإحقاق الباطل، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِنْ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)﴾

[سورة الأنفال]

يخفف عن المؤمنين أن الله سبحانه و تعالى يقول:

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤)﴾

[سورة النساء]

فالقضية قضية وجود أو عدم وجود نكون أو لا نكون، فنكون إذا تعاوننا وإذا تناسينا فيما بيننا من خلافات و إذا رجحنا مصالح المسلمين على مصالحنا الشخصية ونكون إذا تقفد بعضنا بعضا وعاون بعضنا بعضا ونكون إذا نصح بعضنا بعضا و إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر نكون إذا وضعنا أنفسنا تحت أقدامنا لصالح الإسلام، أما إذا رجحنا مصالحنا الشخصية على مصالح المسلمين و أردنا أن نظهر ولو على حساب أهداف المسلمين العامة عندئذ لا نستحق أن نكون و الله سبحانه و تعالى يسمح للكفر أن يستمر إذا تعاون أهله ويسمح للإيمان أن ينمحي إذا تنافس أهله، والتنافس أيها الإخوة كفر، ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام رجل من أهل الكتاب ذكر فتى بقصيدة قيلت في الجاهلية فيها طعن للخزرج فدفع هذا الفتى والقصيدة على الخزرج ليستفزهم وبالفعل استفزهم وكادت تقع فتنة بين الأوس والخزرج لا تبقي و لا تذر فخرج النبي عليه الصلاة والسلام في أشد حالات الغضب وقال: تفعلون هذا وأنا بين أظهركم، ثم نزل قوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾

[سورة آل عمران]

فسمى هذه الفرقة وذاك الخلاف بين المؤمنين كفرا، قال تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾

[سورة آل عمران]

فنحن في يوم الهجرة علينا أن نؤمن
وعلىنا أن نأخذ الموقف العملي،
ونهاجر بالمعنى الواسع؛ من المعصية
إلى الطاعة و من مجتمع أهل الدنيا إلى
مجتمع أهل الإيمان، من مجتمع أهل
الباطل إلى مجتمع أهل الحق ومن
المقاصف إلى المساجد من أجل أن
نطلب العلم و من أجل أن نتعاون لئلا
تقع في الأرض فتنة وفساد كبير،



وملامح هذه الفتنة والفساد الكبير واضح بين الناس، قال لي أحد الإخوة: إن بناية فيها اثنان
وثلاثون بيتا و فيها اثنان وعشرون صحنا و كلها من أجل رؤية الكعبة، فتنة، وهذه الفتنة كادت
تودي بديننا.

فيا أيها الإخوة، قال تعالى:

﴿إِنَّا تَفْعُلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)﴾

[سورة الأنفال]

يعني أن هناك تخطيط ذكي جدا لسحق المسلمين من خلال تسليط ثقافة هجينة علينا وعلى شبابنا
وفتياتنا

والحمد لله رب العالمين